رحيل

ميشال تابت "الطاغية" المحبوب
شاهدٌ على العصر الذهبي للدراما اللبنانية

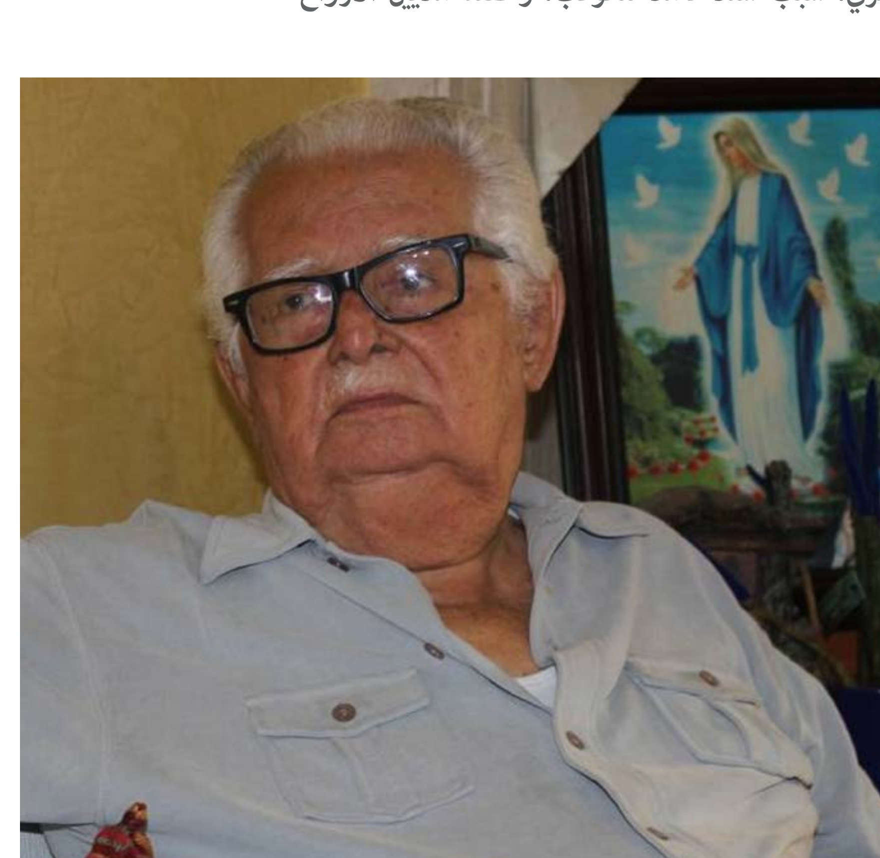
يواصل وباء كورونا حصد رموز فنية وثقافية من الرعيل المؤسس للفن اللبناني. الممثل ميشال تابت (1930 ــ 2021) استسلم الشهر الماضي امام "طاغية" غير مرئي، سبّب شللا كاملا للكوكب، وحصد ملايين الارواح

يبقى الممثل ميشال تابت مخلّدا في الذاكرة الجمعية، هو الذي قدّم طوال مسيرته حوالى 2600 حلقة تلفزيونية غالبيتها غير مسجلة، بل كان يتم تمثيلها بشكل حيّ على الشاشة في بدايات الدراما اللبنانية وتلفزيون لبنان، الى اربعين فيلما والفي حلقة دوبلاج طبعها بصوته على شخصيات كرتونية تربت عليها اجيال الزمن السعيد.

رافق تابت العصر الذهبي للدراما اللبنانية مع مجموعة من الاسماء التي شكلت الرعيل الاول لهذا الفن، وصنعت مجده على رأسهم انطوان كرباج (مسلسل "بربر آغا" الذي شارك فيه تابت)، وليلى نمري، وهند ابي اللمع، وابراهيم مرعشلي، وعبد المجيد مجذوب، وسمير شمص وغيرهم...

بصوته القوي ونظرته المخيفة، تقمّص تابت ادوار الشر التي التصقت به. ابدع فيها الى درجة انه صار مخيفا بعض الشيء بالنسبة الى الناس في الشارع وفق ما قال مرة، بل ان زوجته الثانية كانت تخشاه قبل ان تتعرّف عليه. كل هذا للدلالة على مدى براعته في تجسيد هذه الادوار. لكن ذلك لا يلغي براعته في الادوار الكوميدية ايضا، هو الذي شاهدناه في مسلسل "ابراهيم افندي" (1985) وغيره، وقد تحدث مرارا عن تلك الكيمياء وذلك الرابط الروحي الذي جمعه بمرعشلي الذي شاركه بطولة المسلسل.

يعتبر تابت من تلك الطينة من الفنانين الذين كانوا ينظرون الى فن التمثيل بوصفه رسالة تعلو فوق المصالح والحسابات الضيقة. رحلته في هذا المجال لم تكن مفروشة بالورود. تفتّح وعيه على حب التمثيل باكرا في "مدرسة مار نوهرا" في فرن الشباك حيث اختبره على مسرح



الممثل الراحل ميشال تابت.



كان ميشال تابت يتمرن على ادواره امام المرآة في منزله

المدرسة، الا ان ضرورات الحياة اجبرته على التخلي عن مقعد الدراسة ليلتحق بسوق العمل ويمتهن الحلاقة سبيلا الى العيش. منذ عام 1943، سيبدأ رحلة التمثيل عبر "فرقة النهضة الفنية" ومعهد الفنون، الى ان اسس مع رفيقيه ميشال تامر وجورج قاعي "فرقة الارز الفنية" سنة 1966 لتقدم عملها المسرحي "العاشق الشارد" وغيرها من المسرحيات. بعدها ستتحول الفرقة الى السينما، لتقدّم فيلم "عذاب الضمير" عام 1957 وافلاما اخرى شارك ميشال تابت فيها كإداري. بعدها، ترك الفرقة ليعمل في مهنته الحلاقة الى جانب مكياج الافلام، مجتهدا في الوقت عينه لترسيخ حضوره كممثل في السينما والتلفزيون والمسرح. في موازاة عمله التمثيلي، كان نشطا على المستوى النقابي، اذ ترأس نقابة ممثلي المسرح والسينما وكان من مؤسسيها، وساهم في اعلاء شأن الدراما اللبنانية. لم تمنعه انشغالاته الكثيرة من لعب دوره الوطني عام 1968، حين تولى مسؤولية الاعلان المرئي في مديرية التوجيه التابعة للجيش اللبناني. تحديات كثيرة وقفت امام مسيرته المهنية، لكن ايضا الشخصية. فهو الذي فقد ولدين عام 1959 بفارق اسبوع فقط بينهما، لكنه لم يستسلم لهذا الالم الذي خبره ايضا عند وفاة زوجته الاولى. لم يترك مصاعب الحياة تتغلب عليه، حتى عندما تعرّض لنكسات صحية كثيرة في السنوات الاخيرة من حياته. زوجته منحته حياة ثانية حين تبرّعت له بإحدى كليتيها، كما منحته "لعبة" كما كان يحب ان يوصف ابنته الصغرى ليلى.

"الامن العام" التقت نقيب الممثلين جان قسيس للتحدث عن مسيرة تابت التمثيلية والنقابية والاثر الذي تركه في المجالين.

■ كيف تصف تجربة ميشال تابت النقابية؟

□ لا شك في ان خسارة ميشال تابت كرجل نقابي وكفنان كانت كبيرة علينا جميعا. ميشال تابت الذي شغل سدة رئاسة "نقابة ممثلي المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون" في لبنان، لمدة تتراوح بين 25 و27 سنة بمراحل متقطعة، ترك بصمة كبيرة في الجسم والعمل النقابيين. يوم كان نقيبا، من اهم الانجازات التي حققها ربما ان هذه النقابة لم تنقسم طائفيا رغم كل الظروف التي سادت لبنان ابان الحرب. الفضل في ذلك يرجع اليه والى المرحوم علي شمس الدين الذي كان امين سر النقابة. نقابتنا كما يعلم الجميع يقع مقرها في حرج تابت في بدارو، وكانت نقطة التقاء بين ما كان يعرف بالمنطقتين الشرقية ◄

نقطة على السطر

حياتنا بالأبيض والأسود

يدعونا بعض العقلانيين والبراغماتيين والليبراليين الى الرهان الاعمى على المستقبل، وعدم الالتفات الى الماضي... وهي فكرة قد تكون سديدة، اذا نظرنا اليها فعل رفض للدعوات السلفية، ونقدا للعالقين في الزمن الغابر كسجناء في زنزانة، يتحصنون فيه، غير قادرين على مغادرته.

اسرى الماضي يخافون مواجهة زمانهم، او لا يعرفون الطريق الى المستقبل. اللجوء الى الماضي قد يكون ايضا تعبيرا عن ازمة وجودية او سياسية او حضارية عميقة. قد يفضح تشكيكا في الذات، عجزا عن التعامل مع اللحظة الراهنة، خوفا من مواجهة المستقبل.

لكن السخرية من "الواقفين على الاطلال" على طريقة ابونواس (قُل لمَن يَبكي عَلى رَسمٍ دَرَس/ واقِفاً ما ضَرَّ لَو كانَ جَلَس)، يمكننا ان نعكسها تشكيكا بالمغتربين عن الواقع، بالهاربين من الماضي بالاحرى، خوفا وجهلا وكسلا، وخضوعا للنموذج الاستهلاكي، واوهام التقدم السطحي.

هل يمكن حقا "الهروب" الى المستقبل؟ أم انها رحلة منظمة، مخطط لها، يجب ان نستعد لها، افرادا وجماعات وشعوبا، تحتاج الى ادوات وجهوزية وخريطة طريق؟ والا ضللنا السبل، وخرجنا عن سكة الحضارة، وتبددت احلامنا بالتقدم والارتقاء، وتدحرجنا الى هوة سحيقة قوامها الردة والتخلف.

والتحضير للمستقبل لا بد من ان يبدأ من التصالح مع الماضي، واعادة تملكه، وحمل كل انجازاته وعصوره الذهبية، سلاحا لمواجهة تحديات الراهن، واختراع الغد السعيد، المستقر، المتطور، المزدهر... اي كل ما نفتقر اليه اليوم في لبنان.

في قلب هذه الازمة الحادة التي نعيش، اجتماعيا وثقافيا ايضا، وليس فقط اقتصاديا وسياسيا وخارجيا، ما احوجنا الى الثوابت، الى المثل العليا، الى استعادة الثقة بالنفس، بالوطن، بالدولة، بقدرة الشعب على التماسك والالتحام في مواجهة العدم! كل ذلك يكون بالالتفات الى الخلف قليلا، لاستعادة الانجازات والمحطات المضيئة.

رحيل ميشال تابت اعادنا الى احدى تلك المنارات. الى حياتنا المطمئنة، البريئة، المتفائلة بالمستقبل. حياتنا بالابيض والاسود على شاشة تلفزيون لبنان، حين لم يكن هناك سواه لصياغة ثقافتنا الشعبية. كلا، ليس حنينا عقيما الى ماض متخيّل، بل حاجة الى الغرف من معين البدايات، علّنا نفهم ماذا ينقصنا الآن؟

من منا سيذكر اسما، او حوارا او مشهدا او وجها من تلك المسلسلات الاستهلاكية التي تجتاحنا، وتغزو شاشاتنا بالمئات كل موسم؟ بشكل عام، الصورة هزيلة، والحوار عقيم، والاخراج فقير، والتمثيل بائس، ومعالجة الواقع سطحية ومزيفة.

اسمحوا لنا اذا ان نحتفل بالماضي، ان نبحث عن سر الطمأنينة والازدهار والتقدم.

سمير مراد

جان قسيس: تعلمنا من ميشال تابت الصدق في التعامل مع الفن.

◄ والغربية. كان ميشال تابت وعلي شمس الدين وبعض النقابيين الآخرين متمسكين بأن يداوموا في النقابة في ظل القصف والقنص لتبقى هذه النقابة قائمة لمتابعة شؤون الممثلين. ارسى قاعدة مفادها ان النقابة للجميع والفنان للجميع. لذلك، لم تنقسم النقابة كسائر النقابات في البلد، خصوصا يوم كانت هناك نيات مبيتة لتقسيم النقابات وتجزيئها للسيطرة عليها في القرار السياسي. ميشال تابت فرض نفسه نقيبا قويا. بعضهم يقول بأن النقابة كانت الوحيدة العاملة والفاعلة في ذلك الزمن. ايضا، لم يكن هناك سوى تلفزيون واحد هو تلفزيون لبنان، فكان ميشال تابت مصرا على ان لا يشارك في الاعمال الفنية الا مَن كان نقابيا. اذكر جيدا انه يوم كان نقيبا، وكنا اذا دخلنا الى تصوير مسلسل او عمل ما في تلفزيون لبنان، والتقى بشخص لا يعرفه، كان يسأله: هل انت منتسب الى النقابة؟ فإذا كان منتسبا الى النقابة، يستمر العمل. لكن اذا كان هناك شخص واحد غير منتسب ويشارك في العمل، كان يأمر جميع الممثلين بوقف العمل والتصوير حتى يستبدل هذا الشخص، ايا يكن، بشخص نقابي. وهذا موقف مسجّل له للتاريخ. في

رغم ظروف الحرب لم تنقسم نقابة الممثلين طائفيا بفضله

العمل النقابي سعى الى اتفاقات وتوقيع بروتوكولات مع نقابات فنية اخرى في العالم العربي: في سوريا، والعراق، ومصر، وليبيا ودول اخرى لتفعيل وتنظيم العلاقة بين الفنانين اللبنانيين والعرب، والمعاملة بالمثل. فالضريبة التي كانت نقابات العالم العربي تتقاضاها من الفنان اللبناني كانت مرتفعة جدا في حين ان النقابة اللبنانية كانت تتقاضى ضريبة زهيدة من الفنانين العرب. لذا، جاء الاتفاق بأن يتم التعامل بالمثل. وهذا ما تم الاستناد اليه لاحقا عند اقرار قانون تنظيم المهن الفنية اللبنانية، أي مبدأ المعاملة بالمثل مع الفنانين العرب. كان مدافعا شرسا عن حقوق الفنانين، ويقاتل بشراسة اذا تقاعست جهة منتجة عن الدفع للممثلين المشاركين في المسلسلات. فعلا، ترك بصمة قوية وعميقة على جبين المهنة التمثيلية في لبنان من موقعه كنقيب.

■ ميشال تابت من الرعيل المؤسس للدراما التلفزيونية اللبنانية واحد المواكبين لانطلاقة تلفزيون لبنان، هلا اخبرتنا عن هذه الحقبة الذهبية في التلفزيون؟

□ نحن نعرف ان ميشال تابت فنان بالفطرة كما معظم الفنانين الكبار الذين عرفناهم في الدراما اللبنانية. هو في الاساس حلاق، كان له محل للحلاقة لكنه كان موهوبا بالفطرة في التمثيل. بالطبع شارك في اعمال مسرحية قبل ظهور تلفزيون لبنان عام 1959. من اول البرامج التي عرضت يومذاك كان يؤدي فيه تابت شخصية "دعيبس" مع المرحومة ملفينا امين التي كانت تؤدي دور "منتورة". واشتهر ثنائي دعيبس ومنتورة يومها واصبحا مضرب مثل. كان برنامجا كوميديا طريفا جدا وكنا اطفالا نشاهده ونفرح بمتابعته على شاشة تلفزيون لبنان. طبعا، استمر ميشال تابت في العمل التلفزيوني وتراوحت ادواره ما بين الدراما والكوميديا. مع مرور الايام، نذكره مثلا في "فارس بني عيّاد" (1968)، و"المنتقم" (1969) واعمال كثيرة اخذ فيها دور الشرير. شيئاً فشيئاً، طغت عليه هذه الشخصية في الكثير من اعمال الدراما اللبنانية. طبع تابت دور الشرير بنكهة خاصة، حتى بلغ قمة الشر في دور "الطاغية" (2007) الذي جسده بجدارة مطلقة، وصار يعرف بالطاغية. لا شك في انه كان يجيد اداء ادواره، اكانت كوميدية او درامية. وهذه ميزة تخصّ الفنان الذي لم يتقيد بنمطٍ معين من الشخصيات التي يؤديها. مثلاً، نذكره مثلاً في مسلسل "اهربوا جايي القفورة" (1985 ـ كتابة انطوان غندور) مع هلا عون. في هذا المسلسل، اعادنا بالكثير من الجوانب الى شخصية دعيبس التي كانت الشخصية الاولى التي اداها في مسيرته. انا لي شخصيا حادثة مع ميشال تابت. حين بدأت العمل التلفزيوني بعد تخرجي من كلية الفنون في المسرح، كنا نؤدي عملا معا وارتبكت قليلا امام الكاميرا وتلعثمت واضطررت الى اعادة المشهد اكثر من مرة، وكان بيني وبينه.


من اليمين: جوزف جبرايل وفيليب عقيقي وميشال تابت ووفاء طربيه واحسان صادق وكمال الحلو وعلي شمس الدين.


مع الراحلة هند ابي اللمع.

فقال لي: عليك ان تهدأ ونحن جميعا في بداياتنا كنا نتعرّض للموقف نفسه. تنفّس جيدا، وارح اعصابك وركّز على الدور، وانت ممثل جيد. لا انسى هذه الوقفة النبيلة منه. ربما من آخر الاعمال التي قدمها واحد من كتابتي بعنوان "من اجل عينيها" (اخراج فؤاد سليمان ــ 1998) ادى تابت شخصية الشرير، وقد استمتعنا بالعمل معا. كان يعرف كيف يختار ادواره، واذا اضطر لأداء دور لم يقتنع به، كان في الحقيقة يعطيه حقه في الاداء. لم يكن يستهتر بأي عمل. كان ممثلاً فذا ومبدعا، والممثل عادة لا يستطيع ان يتصرف في العمل الدرامي الا في حدود دوره. لا يستطيع ان يغير في النص ولا في الإخراج، انما يستطيع ان يعطي دوره الحجم الذي يراه هو. ميشال تابت كان من الصنف الذي مهما كان حجم الدور، يرتفع به الى مصاف الاداء الكبير. انه علامة فارقة في الدراما اللبنانية من دون شك.

■ لم يلعب ميشال تابت ادوار بطولة، في رأيك ما هي البصمة التي طبعها في تاريخ الدراما اللبنانية؟

□ ربما ليس صحيحا ان ميشال تابت لم يؤد دور بطولة مطلقة. وياللاسف القول بأن المنتجين في الآونة الأخيرة كانوا يفضّلون دائما تقديم الاسماء الشابة على اسماء الممثلين الكبار. هذا لا يعني ان ميشال تابت لم يقم بدور بطولة مطلقة. اصلا، أنا شخصياً ضد ما يسمّى بطولة مطلقة. حين اكتب عملا دراميا، اركز على ان لا يكون هناك بطل مطلق. مثلا في مسلسل "من اجل عينيها" الذي ذكرته، كنا ميشال تابت وانا البطلين الرئيسين لهذا المسلسل، لكن المنتج اصر يومها على وضع اسماء الشبان قبلنا. وهذه مشكلة نعانيها في الوسط الفني. ادى ميشال تابت ادوار بطولة كثيرة. في "القفورة"، كان بطل المسلسل وفي "الطاغية"، إلى جانب اعمال كثيرة. هو تعاطى مع الدراما بجدية مختلفة، مثله مثل الكثير من الفنانين لكبار، الرعيل الاول الذي لم يتخصص ولم يدرس في المعاهد والجامعات. رغم دراستنا نحن في الجامعات، تعلّمنا من هذا الجيل الكثير. تعلمنا الصدق في التعامل مع الفن والشغف الفني، اي ان الفن ليس للتجارة وقبض الاموال، كما اصبح اليوم. كان صديقي جان ابن ميشال تابت يخبرني بأنه حين يُسند احد الادوار التمثيلية الى والده، كان يتمرّن عليه في المنزل ويقف امام المرآة ويؤدي الدور قبل ان يأتي الى التصوير. اؤكد واجزم بأن اي ممثل من ممثلي اليوم لا يفعل امرا مماثلا. تسعون في المئة من الممثلين والممثلات اليوم يأتون الى التصوير وهم غير حافظين ادوارهم. ميشال تابت ورعيله كانوا يأخذون الامور بجدية مطلقة، ويأتون إلى موقع التصوير وقد حفظوا ادوارهم ورتبوا الثياب والاكسسوارات التي يحتاجون اليها بغض النظر عن دور المسؤولين عن هذا العمل، لأنهم كانوا يعتبرون انه لا يجوز التعاطي مع الفن باستسهال ولامبالاة.

س. م